والسكينة فيه.. لكانت تمطره بقبلاتها. وتلثمه بشفتيها وتغمره بعناقها.. آه يا أمـاه كم اشتاق إليك.. كم أهفو إلى لحظـة بين أحضانك ولتكن هى النهاية.. وليكن بعدها الفناء.

وهو فى غمرة أفكاره وفى ذروة شروده.. كان ينظر إلى السرادق وكأنه غريمه لو أن بندقيته فى جنبه لاطاح به بعيدا عن طريقه نحو حضن أمه. ولكن ماذا يفعل.. وقد قاربت الساعة على منتصف الليل.. وكأن المعذبين يتشبثون بـالبقاء فى هـذا السرادق اللعين.. ماذا يعجبهم فيـه.. إنه حتى خافت الإضاءة.. غير مسقوف لكنه طويل وزاخر بالناس.. يعج بالمعزين من كل حدب وصـوب من كل الفئات والأعمار.. الشبـاب والشيوخ ذوى الطبقة الغنيـة.. والعمال من أصحاب الحرف.. لم يكن شـوقى يدرى أن لأحدى شقيقتيه هذه الشعبية الجارفة وهذه الجماهيرية ذائعة الصيت.

فجأة انتفض شوقى مذعورا على صوت صرخـة مدوية بجوار أذنيه.. تـوالت الصرخـات بسرعة خـاطفـة .. بعضهـا يعبر عن الجزع والبعض الآخـر عن الفـرح.. بعضها مفهـوم.. والأخـريـات غير مفهومـة.. لكنـه استطـاع أن يميـز شيئين.. أن الذى أطلق الصرخـات مشمش المكـوجى صاحـب المحل أسفل منزلهم وأن معظمهـا تحمد الله وتشكـره على هذه المعجزة.

هجم مشمش المكـوجى على شـوقى وحملـه عنـوة من الخلف فـوق عنقـه. واندفع بـه حامـلا إياه نحـو السرادق وهو يـردد.. الله أكبر.. الله أكبر.. أحمدك يارب.. أشكـرك ياالله إنه الميت الحى.. إنه الشهيـد الباقى.. ولم لا فمعجزات الله باقية.. خالدة إنه أكبر من الجميع إنه فوق الكل.

أصـابت شوقى حـالة من الـذعر أول الأمـر من مشمش.. ظنه وقـد مسه شيطان أو أصابه جـان.. إنه يهذى بكلمات كثيرة لايفهمها.. أحيانا ينظـر إليه على أنـه مـارد لدرجـة أن شـوقى اضطر لافـاقتـه وقال لـه مشمش.. مشمش.. أنـا شوقى يامشمـش ألا تعرفنى.. إننى جـارك منذ خمسة وعشرين عامـا.. مابالك وقد ارتعـدت أوصالك وتخبطت فرائسك. لكن مشمش كان فى حالة لاتسمح له بـالاستقبال كان يرسل فقط.. كان